الغنائية في شعر ميخا يوسف ليبنزون

م. عدنان شبيب جاسم

المقدمة

كانت فكرة ثم وضعت على الورق فاستحالت مادة بفضل الله التي نحاول أن نقدم فيها شرحا عن موضوعة الغنائية في الشعر، قد يفهم من الغنائية إنها غناء لأي شعر وقد يفهم إنها الرومانسية، ولتوضيح ذلك قمنا بهذا الجهد المتواضع لنخدم به القارئ بشكل عام والمتخصص بشكل خاص بان الغنائية صحيح إنها سابقا كانت تغنى بمصاحبة آلة موسيقية على الأغلب القيثارة التي أخذت منها تسمية الغنائية في الشعر اليوناني القديم **lyra** (قيثارة) وأصبحت **lyric** الغنائية، وضلت هذه التسمية حتى الآن رغم إن الآلة اختفت في العصور المتأخرة وأصبحت الغنائية تعرف بالوسائل التي يكتب بها الشعر وأوزان محددة لهذا النمط من الشعر والغرض الذي كتب به الشعر، لذا اصبحت الغنائية تعرف بهذه الأشياء أما عن كونها هي الرومانسية فليس بالضبط فهي أحد فروع الرومانسية والفرع لا يمكن أن يحل مكان الأصل، بل يمكن أن يمثله، يعني إن الغنائية هي وجه من اوجه الرومانسية ولا يصح أن نطلق اسم الرومانسية على الغنائية، فليس جميع الشعر الغنائي رومانسي.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لقد اتبعنا الأسلوب التفصيلي في البحث من حيث دراسة الغنائية أولا وتبيانها ثم تطرقنا إلى انتشارها في الآداب العالمية ومن ثم في الأدب العبري ثم درسنا حياة الشاعر لما لها من اثر كبير في تحليل الشعر من الناحية النفسية وحتى البلاغية والأسلوبية، ثم تحدثنا عن بعض نماذج من شعره ولم نزد فيها لان اغلبها متشابه لكننا حاولنا أن نلقي الضوء على ابرز الأغراض من شعر غزل أو وطني أو شعر طبيعة وغيره التي توصلنا من خلالها إلى إن الغنائية نمط وليست غرضا وهي غير الرومانسية وان الرومانسية طابع والغنائية نمط لذا لا يمكن أن يكونان نفس الشيء، وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في تقديم شيء ولو بسيط نخدم به الناس والله من وراء القصد.

الغنائية

تطورت الأغراض الشعرية بتطور المجتمعات وانفتاحها على بعضها البعض واستخدم الأدب عموما والشعر خصوصا في جميع مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية وما يتعلق بها من علوم وفلسفة وغزل ورثاء إلى غير ذلك من الأمور، وقد تعددت ألوان الشعر بتعدد مناهله فاصبح الإنسان يطلق تسميات على ألوان من الشعر فيكون طابعا خاصا بهذه القصيدة لان موضوعها كذا أو لان وزنها الشعري كذا فصارت القصيدة الرعوية والأرجوزة والقصيدة الشعبية وغير ذلك من ألوان الشعر، وما يهمنا في هذا البحث هو القصيدة الغنائية أو الشعر الغنائي، والغنائية **lyri** غنائي ظهرت في الشعر اليوناني القديم وهي صفة تطلق على ذلك الشعر الذي ينظم بقصد التغني به في موضوعات المديح أو الرواية أو السرد القصصي على أوتار القيثارة القديمة المسماة بالليرا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الغنائيون كذلك الوزن الحزين (دستيخون هكسامتري وبنيمامتري) ومن بين الغنائيين الأوائل في اليونان القديمة تريتايوس (القرن السابع) والذي كتب قصائد حرب حماسية وكذلك الكايوس الذي كتب قصائد حرب وحب وخمرة والشاعرة سابفو (القرن ٧- ٦) والتي أثرت كثيرا في الأدب الأوربي المتأخر في قصائدها عن الحب، أما اناكريا اون (٥٧٠- ٤٨٥ ق. م) انشد عن الخمر والحب وكان تأثيره قويا في شعر أوربا في فترات مختلفة، فينداروس (٥١٨- ٤٣٨ ق. م) وباكخليدس (القرن ٦- ٥) انشد شعر حماسي وترانيم لتبجيل المنتصرين. وقصائد غنائية نظمت أيضا من خلال أشعار الطوائف في التراجيديا اليونانية.

الغنائية الرومانية تأثرت بالغنائية اليونانية ومعروفة بشكل خاص قصائد الحب لكاتولوس، وفي نتاجات ويرجيليوس وهورازيوس. وفي العصور الوسطى ادخل الشعر الغنائي إلى المواضيع الدينية. وفي ذلك الوقت كان الشعراء العرب يعرفون قصائد الخمر والحب والغزل وغيرها وهم الذين اثروا في شعراء تريانس الجوالين (التروبادوريون)، في ألمانيا والبلاد السلافية كتبت أشعار حرب غنائية بتأثير من المسيحية واسلوبها كان حزينا وموجها ضد الكافرين، في إيطاليا يعتبر بتراركا (١٣٠٤- ١٣٧٤) محطة تطور بالغنائية[٩]. ولم يذكر في جميع المصادر إن الغنائية قد احتوت في طياتها طابعا رومانسيا، بل هي انفعال داخلي[١٠] أو هي طريقة للتعبير عما داخل الشاعر لعرضه على المتلقي.

ويلاحظ إن الغنائية قد انتقلت بشكل سريع وملموس وبصورها وأشكالها إلى جميع الآداب العالمية لما لها من تماس مباشر بمشاعر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الشاعر والمستمع فهي وسيلة للتعبير بالنسبة للشاعر ومجالا للمحاكاة لدى المستمع بحسب رأينا.

وقد تطورت الغنائية تطورا ملحوظا ففي عصر النهضة كتبت صورا جديدة للشعر الغنائي وارتقت مرة أخرى صور اليونان القديمة لكن الشعر الغنائي ازدهر بنصه الشعبي في عصر الإصلاح ففي فرنسا ساهم الشعراء بتصوير الغنائية الحديثة وهم فيفان القرن السادس عشر ورونسار (١٥٢٤- ١٥٨٥) وهؤلاء تأثروا بالغنائيين اليونانيين والرومانيين، أما إنكلترا فقد تأثرت بالغنائية الإيطالية والفرنسية بحيث ترجم شكسبير (١٥٦٤- ١٦١٦) وسبنسر (١٥٥٢- ١٥٩٩) من أشعار بتراركا والفرنسي دي بلاي، ومع برنس (١٧٥٩- ١٧٩٦) أحيت الغنائية الأنغام الخاصة التي في الشعر الشعبي، ووصلت الغنائية في ألمانيا إلى بداية إنجازاتها الكبيرة مع (شتورم اوتد درانج) وقصائد العرفان (كولبشتوك ١٧٢٤- ١٨٠٣) التي تشيد بانتصار الإحساس على الشعر العقلاني التنويري. وتمسك بها هردر وهامان واتباع شتورم الذين ادخلوا الإحساس إلى التطرف، وفي عصر الانفتاح أراد جوته وشيلر وهلدرلين بالغنائية امتزاج الإحساس والمعرفة، أما في عصر الرومانسية فقد ازدهر الشعر الغنائي جميع بلدان أوربا [١١].

لقد ظهرت الغنائية في العصر الحديث بشكل اكثر تطورا وتشعبا فقد طرح المذهب الطبيعي الغنائية الاشتراكية بأسسها الفكرية ففي ألمانيا برز كونرادي أما الغنائيين المرموقين للمذهب الانطباعي فهم ليلينكرون وديمل وويلدجانس، أما المذهب التعبيري فقد ادخل للغنائية الأسس الحماسية في أشعار (ورفل وبنمر وآخرين) وبرزت الأسس

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الدينية في شعر ريلكا وتراكل وفي فرنسا وجدت الغنائية تعبيرها الكامل لدى الشعراء الكاثوليكيين والمتصوفين حتى بعد الحرب العالمية الثانية وأيضا الشعراء السرياليين مثل برتون وكالوار، وظهر في إنكلترا (اليوت واودن) وفي الولايات المتحدة ناوتد وفي روسيا انقطع تقليد الغنائيين الكبار امثال (بوشكين) (١٢).

الغنائية في الأدب العبري

انتقلت الغنائية إلى الآداب العالمية ومثلما تبين إن اصل الغنائية هو الأدب اليوناني القديم. فهم أول من عرف الغنائية ومنهم انتقلت إلى الآداب الأخرى، وقد عرف الشعر الغنائي عند اليهود القدماء وبأشكاله السامية والعديد من نماذجه الكلاسيكية موجودة في أسفار العهد القديم على شكل ترانيم (في المزامير) قصائد الحرب (قصيدة دبوراه) قصائد الانتصار (مريام) شعر الحب (نشيد الأناشيد) وغنائية فكرية (أيوب) وهناك المراثي وقصائد العرفان والترانيم التي تتميز بشكل أساس بنغمة دينية ولكن يوجد أيضا قصائد أخرى دنيوية(١٣) ، وسوف نورد مثال عن الشعر الغنائي في العهد القديم: **מִזְמוֹר לְדָוִד יְהוָה מִי־יָגוּר בְּאָהֳלֶךָ מִי־יִשְׁכֹּן בְּהַר קָדְשֶׁךָ הוֹלֵךְ תָּמִים וּפֹעֵל צֶדֶק וְדֹבֵר אֱמֶת בִּלְבָבוֹ לֹא־רָגַל עַל־לְשֹׁנוֹ לֹא־עָשָׂה לְרֵעֵהוּ רָעָה וְחֶרְפָּה לֹא־נָשָׂא עַל־קְרֹבוֹ**(١٤) " ترنيمة لداود يا رب من يسكن في خيامك ومن يسكن في جبل قدسك يغدو مستقيما وفاعلا للبر ويتكلم الحق في قلبه لا الافتراء على لسانه لا يعمل لصاحبه سوءا وضغينة لا يحمل على قريبه " المزامير (١٥) نلاحظ إن هذه القصيدة هي قصيدة ثناء وعرفان وهي من الشعر الديني.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أما في العصر الوسيط فقد ازدهرت قصائد غنائية (عرفان وغنائية فكرية وترانيم وهجران وقصائد خمر وقصائد حرب وقصائد حب وغزل وغير دينية ودنيوية بروحها). في شعر الأندلس العبري الذي تأثر بالشعر العربي وصوره وقد كان الشاعر شموئيل هناجيد يعتبر الغنائي المرموق في قصائد الحزن والفرح معا وقصائد الحب والطبيعة والخمر وقد وصلت الغنائية إلى ذروتها في قصائد شلومو بن جبيرول ويهودا هاليفي[١٥].

أما في الفترة الحديثة وهي الفترة التي ظهرت فيها حركة الهسكالاه والأسس والأفكار التنويرية، فقد ظهر إن أدب الهسكالاه قد استوعب تأثيرات بايرون وشيلر وآخرين ويعتبر الغنائي المرموق لأدب الهسكالاه اليهودية هو ميخا يوسف ليبنزون وقسم من شعر يهودا ليف جوردن[١٦].

لقد خرج الأدباء في العصر الحديث وهم رواد الأدب العبري الحديث من الإرث التوراتي ولم يلتزموا به بل تأثروا بالآداب الأخرى، وبدءوا يكتبون أدبا اجتماعيا وسياسيا وجددوا أغراضا حديثة في الأدب العبري فالغنائية الحديثة صحيح إنها ظهرت منذ بداية أدب الهسكالاه لكنها وضعت حروفها مع ظهور بياليق ولكن يجب تقييم ميخل وشلومو ليفسون[١٧]. وفي رأينا إن الغنائية التي ظهرت في بداية الأدب العبري الحديث أو أدب الهسكالاه والتي لا يعتبرها النقاد اليهود غنائية حقيقية حسب رؤيتهم لأنها ظهرت متزامنة مع فترة الرومانسية. وبذلك تكون قد تداخلت معها رغم إنها تعتبر أحد اوجه الرومانسية لأنها تحوي أشعار حب وغزل. ولذلك نحن نعتقد انهم وقعوا في خطأ عندما اعتبروها غنائية غير كاملة الأسس. ولكن في الحقيقة انهم عدوا فترة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بياليق على إنها الفترة التي ظهرت بها الغنائية الحقيقية لان في هذه الفترة كتب الشعر القومي السياسي الذي ساند الأفكار الصهيونية وروج لها وتغنى بإنجازاتها لليهود، أما بالنسبة للأدب العبري الحديث بشكل عام والشعر بشكل خاص في بدايته والذي يسمى أدب الهسكالاه، فهذا الأدب دعا في مجمله إلى الاندماج والخروج من الانعزالية وغير ذلك من الأفكار التي تتنافى مع أفكار الصهيونية بل وتتقاطع معها كثيرا، وهذا ما يتضح من كلام غالبية نقادهم حيث إن بعض الآراء تقول إن في أعقاب الرومانسية ظهرت الغنائية النقية من أسس تنويرية هادفة والتي تستخدم التعابير فقط للتعبير النفسي الحقيقي، تلك التعابير التي تتجسد بقوة الرؤية الشعرية بنظم صور وأنغام فنية، فالغنائية هي إحدى صفات الجمال للموهبة الشعرية العبرية التي تلمع لآلئها في الكتب الدينية وشعر اليهود في العصور الوسطى وحتى إن حسها يصدح في الاجاداة ولكن في عصر (الماسفيم) وفي غاليسيا قد شاع نورها إذ اصبحت بتأثير الكلاسيكية الزائفة الفن المزدهر في البلاغة ونظم القوافي[١٨] ... وقد وصل أدب الأحياء إلى ذروته الغنائية مع بياليق وبخطوط مختلفة ومتباينة مع بعضها البعض، فقد تواجدت النتاجات الغنائية لـ(جرينبرج وشلونسكي والترمان ولمدان وشالوم وليئا كولدبرج وبت مريام واندا بينكرفلد) ويعتبر الشعر العبري الذي نشأ في (حرب التحرير) هو غنائي بغالبيته[١٩] وهذا الكلام يدعم رأينا أعلاه.

بدأت الغنائية في الشعر العبري الحديث في قصائد الشاعر ميخا يوسف ليبنزون (ميخل) بشكل فعلي حيث يعد رائد الغنائية في الشعر. والذي اثر في نتاجات الكثير من الشعراء اليهود فيما بعد

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بضمنهم بياليق، فقد كان دوره هو وأباه الشاعر آدم هكوهين ليبنزون كبيرا، حيث يعدان (مبشري التجديد رغم إن (ميخل) كان يميل للرومانسية إلا انهما لم يستطيعا الانضواء داخل السور الحقيقي للتجديد وهم الذين هيئوا الأرضية لكنهما أدوات لم يمتلئوا بمضمون الحياة الذاتية وما هو المضمون الذي احتوته تلك الأدوات، لقد احتويا تأثيرات الفترة فالأب كان عقلانيا وميخل كان رومانسيا حسبما ساد في جيليهما بالشكل الذي انتجا به اللغة العبرية المحدثة، لكنهما لم ينتجا مضمونا روحانيا، فالاثنان كانا شاعري مفاهيم (أفكار عند الأب ومشاعر عند (الابن)، ولكنهما ليسا شاعري حياة، ولذلك هما أيضا لم يصبحا عاملان ثقافيان لأنهما فقدا الصلة مع الحبل الشوكي للحياة الروحية الإسرائيلية)[٢٠].. نعتقد إن في هذا الكلام تناقض واضح حيث إن الناقد عدهما في البدء مبشري التجديد وأشار إلى إن دورهما كبير ثم انه عزلهما عن دورهما في الثقافة اليهودية لأنهما كانا غير مرتبطين بالروح الإسرائيلية، لقد طغت لغـــة السياسة على الحقيقة بان يغبن الشاعرين وبالأخص (ميخل) وهذا الأمر ليس بالغريب فهو موجود في اغلب كتب النقد.

ميخا يوسف ليبنزون (ميخل)

كانت قضية حياته مظلمة وقصيرة، فقد عاش أربع وعشرون سنة فقط وخلال نصف عمره تقلب بعقوبات مرض مهدد، وهو مرض السل الذي داهمه في سن الثانية عشر ولم يتركه حتى يوم وفاته ورث من أبوه آدم هكوهين ليبنزون خصلتين: روح الشعر ومرض السل وبالاثنين تفوق على أبيه. نمت موهبته الشعرية وازدهرت بظروف جيدة، والتي

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تساعد على التطور الكامل، لم يعان في طفولته في (الحداريم)* ولم يشغل مقعدا في (بيت همدراش)** ولم يصب بالإلحاد الغنائي، فقد تلقى تعليما منفردا عبري وعام معا ودرس أسفار الأنبياء ونتاجات ورجيليوس وهوميروس واحب قصائد شلومو بن جبيرول ويهودا هاليفي وتعمق بكتابات شيلر وفيكتور هوجو وميتسكبتس، وبعمر ثلاث عشرة سنة عرف اللغات الروسية والبولندية والألمانية والفرنسية وفي آخر حياته قليلا من الإيطالية لكنـــه تسيد بشكل خاص بالعبرية[٢١]، إن هذا الكلام مبالغ فيه من ناحية وفيه تناقض من الناحية الأخرى، أما من الناحية الأولى هي كيف لصبي بعمر ثلاث عشرة سنة مريض بمرض خطير أن يعرف هذا الكم من اللغات وهو يدرس منفردا، ومن الناحية الأخرى فهذا تناقض لان اغلب النقاد لا يعدونه عاملا ثقافيا مع انه يعرف هذا الكم ومطلع على نتاجات لأدباء عالميين لهم باعهم في التأثير على للأدب العالمـــي، خصوصا عندما يخبرنا المقال انه عندما كان بعمـــر ثلاث عشرة سنة حاول الترجمة للعبرية قصائد لشعراء أجانب،

---

* **حداريم**: مفردها (حيدر) وهي مدرسة دينية لتعليم الصغار يدرس فيها القراءة والكتابة
وحفظ فصول من التوراة وتقابل الكتاب أو المدرسة الابتدائية وسميت (حيدر) نسبة إلى نفس الكلمة التي تعني غرفة. الباحث.

** **بيت همدراش** يقصد به المدرسة ويدرس فيها التفاسير التوراتية والتلمود والهلاخاه وتقابل الثانوية. الباحث.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد أخفى ترجماته ووجدها أبوه بالصدفة وعرضها على المتنورين الذين كانوا يترددون على بيته فسمع الاطراءات والثناء، وقد اثر الجو التنويري في بيت أبيه في فيلنا على الصبي عندما كان يسمع أحاديث المتنورين وتفكيرهم. وهذه البيئة وجهت أفكاره ومشاعره بخصوص الفن وحمست فيه ملكة الكتابة، فبدأ يكتب أشعارا أصيلة وبالأخص قصائد في الطبيعة، فقد احب ميخل الطبيعة حيث كان يقضي الوقت مع والديه في جمال منظر بين جبل عال مغطى بغابة صنوبر وبين النهر الصغير فيليكا وكان في الصباح يصعد على الجبال ينصت ويسمع حديث الطيور ومنظر حركة الحقل وأحيانا كان يغيب نهارا كاملا فيجدونه في ساعة متأخرة من الليل مستلقي ويهذي على أحد المرتفعات وعيونه مغروسة بالنجوم المتلألئة في زرقة السماء.

لقد ملأ صوت الطبيعة وبهاءها نفسه بتفاعل غير محدود وعندما كان لا يحتمل مشاعره فقد أعطاها تعبيرا علـــى الورق وهنا ترجم أيضا الفصـــول الأولى مـــن (خراب طروادة) فتألقت في خياله خطوط نتاجات شعرية جديدة والتي أتمها عندما نضجت موهبته الشعرية[٢٢]، لقد أثرت الهسكالاه في فيلنا كثيرا في شعره وكذلك بشخصيته فراح يميل إلى قراءة الأدب الأوربي[٢٣].

تفتحت شاعرية ميخل بسرعة عكس أباه الذي بدأ ببط فكان اصغر شاعر عكس أباه. فتطور بسرعة واخذ من أباه بان ساد على خط الشفافية والروح الرقيقة والطابع الذي طبع شعره هو الحزن في كثير من أسفاره وقصائده بسبب حياته المريرة وصراعه مع المرض الذي ألم به[٢٤].

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إن الحدث الحاسم في حياة ميخل كان مرض السل الصعب، وقد صارعه بكل جهده وقوته الضعيفة ولم يكن يشتكي لكنه كان يخفي آلامه، وذات مرة في الليل عندما زلقت رجلاه من الضعف تمدد على الأرضية وبدأت دموعه على وجهه وعندما رأوه أبناء عائلته هكذا انفجر جميعهم ببكاء شديد، لقد عاظم المرض من عطشه للتعبير عن مكنونات قلبه فكان يؤدي إلى إنهاء القصيدة، إذ انه أراد أن يكتفي ويتخذ موقفا في الأدب من اجل أن يحظى على الأقل ببقية النفس، لقد عمق المرض أفكاره ووجها إلى قنوات المشاكل الأزلية ومن هنا جاءت الأسس الفلسفية الكثيرة في قصائده وبدأت أيضا التراجيديا الشخصية التي انعكست في جميع قصائده(٢٥).

سافر ميخل سنة ١٨٤٩ إلى برلين يريد الأطباء وباقتراح منهم بقي صيفا واحدا في زلتسبرون وصيفا ثانيا في رينارتس – وهي أماكن نقاهة ألمانية– وقضى الشتاءات في برلين، وقد تحسن وضعه الصحي قليلا وحرص في برلين على إكمال دراسته واكثر من قراءة الكتب بلغات مختلفة زار المسارح والحفلات الأجنبية واستمع إلى محاضرات أدبية وعلمية من علماء ألمانيا، وانجذب بشكل خاص وراء الفلسفة الرومانسية لشليغل التي تتضح انطباعاتها بعدد من قصائده، وصادق شنيئور زقش في برلين، باحث الأدب العبري في العصور الوسطى، وبتأثير منه تقرب إلى مواضيع تاريخية عبرية، وبدأت قابليته بالنتاجات تزداد وتتفتح إلا إن مرضه تفاقم ونام أسابيع في فراش المرض في برلين، وفي بداية شتاء ١٨٥١ عاد إلى بيته في فيلنا وعاش سنة وثلاثة اشهر يتصارع مع الموت ومات هناك في (١٧ شيبط ١٨٥٢)(٢٦).

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

نتاجاته

تأثر ميخل بالشعر الأوربي الحديث والقديم فقد ترجم من البولندية والألمانية وحرص على القراءة بهاتين اللغتين وخاصة الألمانية، وقد مال إلى القصيدة القصصيه (البلاداه) كما ترجم (خراب طروادة) وأمعن بشكل خاص في ترجمة فصول من الخراب والدمار التي جذبت الشعراء اليهود جيلا بعد جيل لأنها صدى لخراب آخر (خراب الهيكل ومملكة إسرائيل التي كان اليهود يندبونها بكثرة)[٢٧]، كما ترجم (ملك البلاهة) لغوته وترجم (العربي في الصحراء) لميتستمتز.

كتب قصائد (شيري بت تسيـــون) " قصائد بنت صهيـــون " وتضم ملاحـــم (شلومو) " سليمان " و(قوهيلت) " الجامعة " و(نيقمت شمشون) " انتقام شمشون " و(بعل فسيسرا) " بعل وسيسرا " و(موشيه عل هر هعفريم) " موسى على جبل العبريين) و قد أطلق اسم (امونا فحوخماه) " إيمان وحكمة "على اثنين من قصائده (شلومو وقوهيلت) وكتب مجموعة من قصائد ضمها في كتاب (كنور بن تسيون) " قيثارة بنت صهيون " وكتب قصائد عن ٠الربيع والطبيعة مثل قصيدة (هاافيف) " الربيع " وكتب ميخل في شعر الحب نحو قصيدة (يوم هـــولدت اهوفاتـــي) " عيد ميلاد حبيبتي " وكذلك (احـــوت لانو) " أخت لنا " و(اهوفاه عزوفاه) " حبيبـــة متروكة " و(حك هاافيف) " عيد الربيع " وقصيدة (ايل هكوكافيم) " إلى النجوم "[٢٨].

ويمكن أن ننوه إلى إن مصيره وقدره المرير قد اثر كثيرا في شعره وهذا ما يبدو واضحا في أشعاره حيث نلاحظ روح التشاؤم حتى في أشعار الربيع وقصائد الحب، فهو لا يمسك الأشياء إلا بطريقة الحياة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وبطريقة الحركة حتى قصائده القصصية والتاريخية فهو لا يصور الأشياء مثلما هي موضوعة وتبدو أمامنا بماضيها. حتى الملحمة التناخية التي انتقل إليها بفضل الهسكالاه (حركة التنوير اليهودية) فهو يتمسك بالأشياء من خلال دقائق خاصة مع تشكيلها وفعاليتها الداخلية، فتصويره ليس خارجي بل هو داخلي نفسي والأشكال والصور الخارجية هي مجرد تعبير مع إن الملحمة التناخية قريبة من الشعر الغنائي(٢٩).

ويعتبر ميخا يوسف ليبنزون من الشعراء الكبار في الأدب العبري رغم قصر عمره وهو من رواد الأدب العبري في تلك المرحلة الذين ألموا بشكل كبير بالأدب التوراتي وأدب العصور الوسطى مرورا إلى الأدب العبري الحديث وقدموا للذين جاءوا بعدهم مادة مصنفة جاهزة وكتبوا أدبا جميلا(٣٠).

لقد كتب ميخل في جميع الأغراض تقريبا وكان مبدعا رغم الطابع الحزين الذي كان يلف أشعاره حتى المتفائلة والسعيدة منها لما لحياته من معاناة لكنه أبدع كثيرا في الشعر الغنائي وأصبحت الغنائية صفة ملازمة لأغلب أشعاره بل انه يعتبر من الأوائل الذين كتبوا الغنائية أو الشعر الغنائي، وسنحاول أن نسلط الضوء على بعض من أشعاره الغنائية .

نماذج من شعره الغنائي

يعتبر كتابه (كنور بن تسيون) " قيثارة بنت صهيون "، وهو كتاب يضم قصائد عديدة، يكشف ميخل فيها عن روحه الجريحة والتراجيديا الشخصية وهي التي تكون السداة واللحمه في الستار الغنائي له، ن هذا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الكتاب يعتبر الكتاب الغنائي لميخل والأشعار القليلة المترجمة لا تعيب الطابع العام للحن[٣١].

لقد احب ميخل الغنائية وأصبحت الطابع الرئيسي بل الصفة الغالبة في الكثير مـــن أشعاره، وخصوصا التي تحدث فيها عـــن الطبيعة والحب، كما في قصيدته (هبوديد بساديه) " الوحيد في الحقل:

מַה יִתְּנוּ לִי הָרִים עֲמֶק וְגֶבַע؟ ماذا تعطيني الجبال وادٍ ومرتفع؟
עַרְפִלֵי הָעֲבִים אִם זִקֵּק הַחֶרֶס ضباب الغيوم إذا ما احتاجت الغابة
עַל נִגַּהּ זַרְחָם לֹא עוֹד אֶתְעַנָּגָה على شعاع شروقها لم اعد أتغنج
מַה לִּי וְלַשֶּׁמֶשׁ[٣٢] ما لي وللشمس.

يتحدث ميخل في هذه القصيدة وهذا المقطع بالذات عن الطبيعة. والجبال والوديان وعن الخضرة والغيوم ومنظر الضباب على رؤوس الجبال رغم إن فيه الحزن في أوله فقره منه.

تعد هذه القصيدة من القصائد الغنائية من ناحية الوزن، فقد اعتمد وزن الدكتايل وهو الوزن الذي تكتب فيه القصائد الغنائية مع أوزان أخرى مثل الهكسامتري، ووزن الدكتايل يتألف من أحد عشر مقطعا في الشطر الأول من البيت يقابله نفس العدد في الشطر الثاني، ويمكن تقديم مقطع من الشطر الثاني فيكون اثنا عشر أو تأخيره مع الشطر الثاني فيكون عشرة مقاطع والشطر الثاني يصبح اثنا عشر كما حصل في هذه القصيدة حيث آخر الشاعر مقطعا وجعل النبر على المقطع الأول، وهذا هو أسلوب الغنائيين في الشعر، ثم عاد في الشطر الأول من البيت الثاني ليجعله أحد عشر مقطعا وربما عمل ذلك للضرورة الشعرية

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بحسب بناء الكلمات المستخدمة، ومن ناحية أخرى استخدم أسلوب الوسيلة الخطابية في الشعر لان الشعور حيال الربيع والطبيعة هو شعور عام لذا تعد هذه الوسيلة هي إحدى وسيلتي الغنائية.

وفي قصيدة أخرى عنوانها (يوم هوليدت اهوفاتي) " عيد ميلاد حبيبتي " يقول:

כְּזִיו שֶׁמֶשׁ רַקַּמְתְּ, מִיפִי שׁוֹשַׁנִּים
בִּצְחוֹק הוּצַק עָלַי פִּיךְ, הוֹי מַה נָּעַמְתְּ
בִּצְחוֹק כָּזֶה בָּרָא אֵל גַּן־עֲדָנִים
שַׁחַר יֶאֱסוֹף נָגְהוֹ מֵהוֹד עֵינַיִךְ
גַּם כּוֹכְבֵי אוֹר־צַח כִּי יִרְאוּ פָּנַיִךְ
יוּעָבוּ יוּעָמוּ(٣٣)

وترجمتها:

كشعاع الشمس طرزت، من جمال السوسن

بضحك انصب على ثغرك، واه ما لطفتيه

بمثل هذا الضحك خلق الله جنات عدن

الفجر يجمع جماله من صدى عينيك

وحتى نجوم النور الصاف إذ رأت وجهك

تغيم وتتكدر

في هذه القصيدة يصف الشاعر حبيبته بشكل مبالغ وهذا متبع في شعر الغزل بشكل عام، فقد عبر بأنها قد طرزت مثل شعاع الشمس ومن جمال الأزهار وان لطافتها في الضحك المنصب على ثغرها وهذا الضحك الذي خلق الله من الجنة والفجر يأخذ جماله من عيونها والكواكب تتكدر وتحسدها عندما ترى وجهها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كقائد الليل يطمح للشروق
اشتاقت له قدس على كرسي الغيوم

يرى لاحوفر إن النفحة الحزينة في شعر ميخل لم تكن مناسبة لأشعاره، فقد كان مبتهجا رقيقا اكثر مما كتب عن القدر وغضب القتل، فالمشاعر البهيجة واللحظات الإنسانية هي غنائية(٣٥).

يصف الشاعر أوقات الربيع في المساء والليل ويصف الريح وجماله وعذوبتها، لكن الغريب في الأمر انه يصفها في الليل أو في المساء وهذا يدل عن النفحة الحزينة التي أشار لها لاحوفر، ونعتقد إن هذا نابع من الحالة النفسية التي يمر بها، وقد لاحظنا انه يركز في أشعاره بشكل عام على ذكر الروح والقلب وخصوصا القلب الذي يعتبر مركز الإحساس وهذا ما يدل على إن هناك شرخا في شخصية الشاعر سببها المرض والألم الذي ترك حسرة في قلبه على سنواته القصيرة. هذه القصيدة هي قصيدة غنائية بطبعها وطبيعتها لان الشاعر تناول موضوعا في الطبيعة ووصف ريح الربيع وان كان طابعها حزين، واستخدم الوسيلة الخطابية في كتابة موضوعه، أما من ناحية الوزن فقد استخدم وزن الدكتايل مازجا إياه بإيقاع الوزن الهكسامتري إلا إن الوزن الحقيقي هو الدكتايل ذو الأحد عشر مقطعا، ولكنه كان يقصر شطرا فيجعله عشر مقاطع ويزيد الشطر الثاني اثنا عشر. وقد تكررت هذه الحالة في اكثر من بيت، كما نعتقد هو أراد آن يكون قريبا إيقاع الهكسامتري ذو الأربعة عشر مقطعا، رغم إن الوزن الهكسامتري يتألف من الدكتايل بزيادة ثلاثة مقاطع عليه(٣٦).

ويقول الشاعر في قصيدته (ايل هكوخافيم) " إلى النجوم ":

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إن أسلوب الشاعر خطاب مباشر باستخدامه ضمير المخاطبة ثم انه استخدم الوسيلة الاعترافية وهي الوسيلة المناسبة للتعبير عن المشاعر والانفعالات الذاتية الشخصية، وهذه الوسيلة هي إحدى وسيلتي الغنائية وقد استخدم وزن الدكتايل المؤلف من أحد عشر مقطعا في الشطر الأول من البيت ومثلها في الشطر الثاني، ويبدو إن هذا الوزن استخدمه الشاعر كثيرا في نظم أشعاره التي تمتاز اغلبها بالغنائية، ولا بد أن نشير إلى إن هذه القصيدة غزلية ومؤطرة بأسلوب رومانسي لكن طابع التغني والوصف قد طغى، لذا تعتبر الغنائية هي إحدى اوجه الرومانسية كما يعد الشعر الغزلي بأنه شعر غنائي.

ويصف الشاعر الربيع وجماله قائلا:

נָטוּ צְלָלֵי עֶרֶב הַיּוֹם יָפוּחַ
וּמְזַמְּרֵי בַּלַּיְל דּוֹמֵם נֶאֱנָחוּ
בֵּין אֵלֵי הַיַּעַר יִשְׁרוֹק הָרוּחַ
וּבְהַדְרַת קֹדֶשׁ הֵם יִקְדוּ יִשָּׁחוּ
הָדוּר בִּלְבוּשׁ כֶּסֶף יָצָא יָרֵחַ
וּלְרֹאשׁוֹ זֵר־זוֹהַר עָנַד כּוֹכָבִים
כַּנְשִׁיא הַלַּיְל הוּא שׁוֹאֵף זוֹרֵחַ
לוֹ נָאֲוָה קֹדֶשׁ עַל כִּסֵּא הָעָבִים[٣٤]

مالت ضلال السماء والنهار يزفر
وبلابل في الليل الساكن قد بكت
بين أشجار الغابة الريح تصفر
وببهاء القداسة هي تدخل وتنخفض
القمر ظهر بهي بلباس الفضة
ولبس النجوم إكليل نور على رأسه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

אֶל פַּאֲתֵי הַיָּמָּה בָּאָה הַשֶּׁמֶשׁ
וּבְשַׂחַק וָאָרֶץ לַיִל יַצִיעַ
וּלְרַגְלוֹ פָּשְׁטוּ דֻמְיָה וָאֶמֶשׁ
וַיֵּצְאוּ חוֹצֵץ כָּל צִבְאוֹת רָקִיעַ
וּכְאֵיי זָהָב עַל יָם הַשָּׁמַיִם
יִשְׁאָפוּ יִזְרָחוּ יַחֲנוּ יִסָּעוּ
יֵלְכוּ יִדְאוּ וִישׁוֹטְטוּ כָּעֵינַיִם
עַל אֹרַח אֵין־קֵץ וּנְתִיב לֹא יָדָעוּ (٣٧)

إلى أقاصي البحر جاءت الشمس
وفي السماء والأرض، الليل ينبسط
وأفلس عنده الصمت والأمس
وخرجت خارجا كل جنود السماء
وكجزر ذهب على بحر السماء
يبغون، يشرقون، يخيمون، يرحلون
يذهبون، يطيرون، ويهيمون، كالعينين
على طريق اللانهاية ولا يعرفون دربا

يرى لاحوفر إن هذا تفلسف تعلق بميخل في هذه القصيدة التي فيها أيضا من التنبه إلى الجمال السامي العالمي الخيالي وفيها على حد سواء شيء من التفلسف والثرثرة التي تحطم روح الجمال ولا تسمح للشعور الطاهر النقي أن يكشف عن طهارته، وتعتبر هذه الأبيات من الأبيات الجميلة جدا في الأدب العبري(٣٨).

بالحقيقة إن هذين البيتين رائعين جدا لما لهما من قوة الوصف حيث فيهما من وصف الطبيعة ومن وصف الجمال والأبيات عبارة عن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

محاكاة الشاعر للنجوم المتلألئة في السماء ويشرح غروب الشمس والوصف في الليل ويصف النجوم إنها جنود الأسماء التي تارة تتحرك وتارة تتوقف بلا درب ولا نهاية، انه منظر جميل ووصف دقيق اختلطت فيه الطبيعة بالرومانسية مع طابع الحزن والشفقة، والتنبه الحاد لمثل هذه الحالة، إن هذه القصيدة من الشعر الغنائي الذي تميز به الشاعر دونا عن الآخرين من جيله وحتى من سبقوه أو خلفوه.

وقد عبر هنا عن شاعريته القوية وانفعاله وقدرته على الوصف وطرح الأفكار التي لم تكن عند غيره من الشعراء، وتمتاز هذه القصيدة بالرومانسية لما فيها من الرقة والشفافية، أما من ناحية الوزن الشعري فقد استخدم وزن الدكتايل وجعل النبر على المقطع الأول، وقد لاحظنا انه تلاعب بالوزن لكنه لم يفقد النسق العام أو الإيقاع الموسيقي للوزن، ونقصد بالتلاعب انه آخر مقطع أو قدم أو أحيانا حذف مقطع وعوضه بالتشديد على المقاطع وهذه قدرة للشاعر على تمسكه والتزامه بالوزن الشعري كما تبين قدرته اللغوية من ناحية إيصال الفكرة حيث استخدم الوسيلة الخطابية التي هي إحدى وسيلتي الغنائية.

وكتب في قصيدة (شلومو) نأخذ منها:

בֵּין שַׁדְמוֹת עִיר צִיּוֹן וִירוּשָׁלָיִם
בָּעִיר שֶׁחִבְּרוּ כָּל הַדְּרֵי תִּפְאֶרֶת
כָּל חֶמְדַּת אֶרֶץ כָּל קְדֻשֵּׁי שָׁמַיִם
וַאֲרָזִים עָנְדוּ כּוֹכְבֵי־אֵל לַעֲטֶרֶת[٣٩]

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بين حقول مدينة صهيون وأورشليم
في المدينة التي نسجت فيها بهاءات الفخر
كل جمال الأرض، كل قداسة السماء
والأرز ربطت نجوم الله كتاج

هذه القصيدة ذات الطابع الديني عندما يقرأ العنوان لكنها من ناحية أخرى قصيدة غنائية بالأسلوب الخطابي لان التغني بالوطن أمر واضح وجلي، ويمكن أن تشعر لوهلة ما بالوسيلة الاعترافية لما فيها من شعور ديني، لكن الخطابية طغت كثيرا في هذه القصيدة.

والقصيدة تتحدث كلها عن التغني بفلسطين وهذا يدل على الحس الصهيوني الديني عند الشاعر وعند اليهود بشكل عام، وقد يكون مصدر هذا الشعور وهذه الأفكار الكتب الدينية اليهودية التي تتحدث عن (إسرائيل ارض الميعاد) وغيرها من الأفكار المشابهة التي صبت فيما بعد في صالح الصهيونية والتي استغلتها بشكل جيد لتدفع باليهود إلى تنفيذ مخططاتها وأهدافها، أما من ناحية استخدامه للوزن الشعري فقد استخدم كعادته في كتابة الشعر الغنائي وزن الدكتايل المكون من أحد عشر مقطعا، ويبدو إن هذه القصيدة كتبت في بواكير نتاجاته ذلك لأنه التزم بشكل كامل بالوزن ولم يقد أو يؤخر مثلما لاحظنا في قصائده الأخرى التي دلت على نضوج شاعريته وتمكنه من اللغة بشكل كبير.

الخاتمة

بعد أن تم البحث توصلنا إلى عدة نتائج نجملها بما يأتي:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

١. إن الغنائية هي نمط في كتابة الشعر وليس غرضا حيث يتوجب فيها الالتزام بأوزان معينة مثل الدكتايل والهكسامتري الأكثر شيوعا في الغنائية، وبتعبير آخر، هي الأوزان المعروفة في كتابة الغنائية وقد تكون هذه الأوزان مناسبة لكتابة أغراض معينة من الشعر كالشعر الوطني والغزل والشعر الديني ووصف الطبيعة، لان هذين الوزنين هي أوزان سلسلة الإيقاع والنبر يكون فيها في بداية الكلمة وليس في النهاية لذا يمكن أن تغنى ولا يمكن أن نعتبر إن جميع الشعر يصلح للغناء كالشعر الفلسفي أو القصصي الذي يستخدم أوزانا طويلة وصعبة وان اصبحت الغنائية فيما بعد نمطا وليس طريقة إي إنها سابقا كانت ترافقها آلة موسيقية لكن في الشعر الحديث التزمت بأوزان والقافية والغرض، هذه الأشياء اصبحت بمثابة الهوية للغنائية إن صح التعبير.

٢. دخلت الغنائية إلى الشعر العبري بتأثير الشعر الأوربي حالها مثل بقية الأنماط والأغراض واتبعت نفس الوسائل وان اختلف الشعر العبري عن سواه الأوربي بالمضمون والهدف لأنه كتب إلى فئة معينة وليس لجميع البشر مثلما هو الفرق، وهذا ما جعل الشعر الأوربي مؤثرا في جميع الآداب العالمية الأخرى.

٣. لقد مر ميخا يوسف ليبنزون بتجربة مريرة طول حياته حيث عانى المرض وآلام وهذا ما اثر في شعره بل اصبح طابعا معروفا في شعره، ويلاحظ انه استخدم تعابير حزينة وهناك

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كلمات كانت تتكرر في شعره مثل الروح والقلب التي كثيرا ما استخدمها وهذا يدل على نفسيته الكسيرة المتهشمة وشعوره المتحطم رغم انه شاعر انفعالي رقيق مبتهج أحيانا ينسى آلامه وينشد بتفاؤلية وفرح لكنه يعود بعد فترة ليطلق فكرة حزينة وهو قادر على الكتابة في أي غرض، فقد لاحظنا انه كتب الشعر الوطني والديني والغزل وانشد عن الطبيعة وله قوة وصف وبلاغة ولغة رصينة من خلال التزامه بالوزن الشعري وهو يميل إلى الشعر الأوربي ومتأثر به، وهذا لأنه عاش في جو تنويري ولأنه كان يقرأ في الشعر الأوربي وترجم منه أيضا. لقد كان ميخل شاعرا غنائيا في اغلب شعره الذي تنبض فيه روح الشباب والنظرة الرومانسية، فهو يعد شاعرا رومانسيا مع إن الغنائية تعتبر وجها من اوجه الرومانسية، إذن فالغنائية تعني الرومانسية وليس العكس.

الهوامش

١. مجدي وهبة، ***معجم مصطلحات الأدب***، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٩٦.

٢. אבן שושן, ***המלון החדש***, חלק ב', עמ" ٥٠٨، انظر: אבן שושן, ***שם***, חלק א', עמ" ٤٧, ٥٠٨.

٣. שאנן, א., ***מלון הספרות החדשה העברית והכללית***, הוצאת (יבנה), תל־אביב,١٩٧٨, עמ" ٩٧٢ -٩٧٣.

٤. לחובר, פ., ***תולדות הספרות העברית החדשה***, ספר ראשון, הוצאת (דביר, תל־אביב,

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

١٩٦٦, עמ" ١٢٠.

٥. مجدي وهبة، ***معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب***، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩،

ص ١٤٨، انظر: مجدي وهبة، ***نفس المصدر***، ص ٢٩٦.

٦. مجدي وهبة، ***نفس المصدر***، ص ٢٩٧.

٧. مجدي وهبة، ***نفس المصدر***، ص٢٩٧، انظر: كاظم الكفائي، ***الأدب العربي***، بغداد، ١٩٥٤،

ص ١٠٦.

٨. שאנן, א., ***שם***, עמ" ٩٧٣.

٩. שאנן, א., ***שם***, עמ" ٩٧٤.

١٠. קשת, ישורון, רשויות, ***מסות הערכה על סופרי ישראל***, הוצאת (ראובן מס), ירושלים
١٩٦٨, עמ" ١١٥.

١١. שאנן, א., ***שם***, עמ" 975.

١٢. שאנן, א., ***שם***, עמ" 976.

١٣. שאנן, א., ***שם***, עמ" 973.

١٤. ***תורה, נביאים וכתובים***, לונדון, ١٩١٠.

١٥. שאנן, א., ***שם***, עמ" ٩٧٤.

١٦. שאנן, א., ***שם***, עמ" ٩٧٥.

١٧. קורצוויל ברוך, ***ספרותנו החדשה המשך או מהפכה***, הוצאת (שוקן), תל־אביב,
١٩٧١, עמ" ٣٣.

١٨. בן אור, א., ***תולדות הספרות העברית החדשה***, הוצאת (יזרעאל), תל־אביב, ١٩٦٦,
עמ" ١٥١ ـ ١٥٢.

١٩. שאנן, א., ***שם***, עמ" ٩٧٦.

٢٠. קשת, ישורון, רשויות, ***מסות הערכה על סופרי ישראל***, הוצאת (ראובן מס), ירושלים

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

١٩٦٨, עמ" ١١٥ -١١٦.

٢١. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٥٣ ,

Waxman, M., ***A History of Jewish Literature***, vol. ٣, USA, ١٩٦٠, p.٢١٧.

٢٢. בן אור, א.,*שם*, עמ" ١٥٣.

٢٣. Waxman, M.., ***Ibid***, p. ٢١٢.

٢٤. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١٠٦.

٢٥. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٥٣ , לחובר, פ., *שם*, עמ" ١٠٨ ,

Waxman, M., ***Ibid***, p. ٢٢٧- ٢٢٩.

٢٦. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٥٤ -١٥٥ , לחובר, פ., *שם*, עמ" ١١١ ,

Waxman, M., ***Ibid***, p. ٢٣٢.

٢٧. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١١٥.

٢٨. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٥٦ -١٥٩.

٢٩. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١١٦.

٣٠. הלדרן, שרה, ד"ר בירק וביה"ס הריאלי, ***דרכים חדשות ומסלול קבוע***, הוצאת (ראובן מס), ירושלים, ١٩٧٠, עמ" ٣٧٩.

٣١. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٦٣.

٣٢. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٦٣.

٣٣. בן אור, א., *שם*, עמ" ١٦٧.

٣٤. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١٢٨.

٣٥. לחובר, פ., *שם*, שם.

٣٦. שאנן, א., *שם*, עמ" ٩٨٩.

٣٧. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١٢٩.

٣٨. לחובר, פ., *שם*, שם.

٣٩. לחובר, פ., *שם*, עמ" ١١٧.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)